

كَانَتْ الْهُدْنَةُ مَعْقُودَةٌ بَنِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ وَبَنِي جَنْسِ الْفَرَنْسِيِّسِ ، مِنْ لَدُنْ دَوْلَةِ السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اِهْلَلِ رَمَحَةَ اِهْلَلِ وَمَلَا حَدَثَ الشَّنَّانَ بْنَ تَرَكَ اِجْلَزَائِرَ وَالْفَرَنْسِيِّسِ وَاسْتَوْبَلَ الْفَرَنْسِيِّسِ عَلَى ثَعُورِهِمْ جَاءَ أَهْلُ تَلْمَسَانَ إِلَى السُّلْطَانِ الْمُؤَبَّلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَمَحَةَ اِهْلَلِ رَاغِبِي فِي بَيْعَتِهِ وَالِدُخُولِ فِي طَاعَتِهِ فَبَقِلَهُمْ بَعْدَ التَّوَقُّفِ وَامْلِشَاوَرَةَ كَمَا مَرَّ وَمَلَا أَعْرَى جَيْشِ السُّلْطَانِ تَلْمَسَانَ وَاجْتَمَعَ أَهْلُ ذَلِكَ الْقَطْرِ عَلَى الْحَاجِّ عَبْدِ الْقَادِرِ حَمِي الدِّينِ تَحْتَ كَلِمَةِ السُّلْطَانِ بِرَبِّهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَقَاوَمَ الْفَرَنْسِيِّسِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ أَشَدَّ امْلِقَاوَمَةَ إِلَّا أَنْ فَائِدَةَ حَرْبِهِ كَانَتْ تَطْهَرُ فِي قَتْلِ النَّفْسِ وَسِ اسْتَالِبِ الْأَمْوَالِ وَفَائِدَةَ حَرْبِ الْفَرَنْسِيِّسِ كَانَتْ تَطْهَرُ فِي انْتِقَاصِ الْأَرْضِ وَالسُّتِيَالِ عَلَيْهِمَا وَشَتَانَ مَا بَيْنَهُمَا . وَمَلَا كَانَتْ سَنَةٌ تَسَعٌ وَمَخْسَنِي وَمَائَتَيْنِ وَأَلْفٌ مَتَّ اسْتِيَالِ الْفَرَنْسِيِّسِ عَلَى جَمِيعِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ ، وَصَارَ الْحَاجُّ عَبْدُ الْقَادِرِ يَنْتَقِلُ فِي أَطْرَافِهَا فَتَارَةَ بِالصَّحْرَاءِ وَتَارَةَ بَيْنَ يَزْنَانَ وَتَارَةَ بِوَجْدَةَ وَالرِّيفِ وَغَرِي ذَلِكَ ، وَرُمِبَا اسْتَكْتَرُ فِي هَذِهِ التَّنْقَالَتِ بِمَنْ هُوَ مِنْ رَعِيَةِ السُّلْطَانِ أَوْ جَنْدِهِ ، فَمَدَّ الْفَرَنْسِيِّسِ يَدَهُ إِلَى إِيَالَةِ السُّلْطَانِ رَمَحَةَ اِهْلَلِ فَشَنَ الْعَارَةَ عَلَى بَيْنِ يَزْنَانَ وَعَلَى وَجْدَةَ وَأَعْمَاهِلَا الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ ، ثُمَّ اقْتَحَمَ وَجْدَةَ عَلَى حِنِي غَفْلَةَ مِنْ أَهْلِهَا وَانْتَهَبَهَا وَكَثُرَ عَيْتُهُ فِي الْحُدُودِ ، فَكَلَّمَ مِنْ جَانِبِ السُّلْطَانِ رَمَحَةَ اِهْلَلِ فِيمَا ارْتَكَبَهُ مِنْ إِيَالَتِهِ فَتَعَلَّلَ بِأَنَّ الْهُدْنَةَ قَدْ انْتَقَضَتْ بِإِمْدَادِ الْحَاجِّ عَبْدِ الْقَادِرِ بِالْخَيْلِ وَالسَّلَاحِ وَالْمَالِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ وَمِبْحَارِيَةِ جَيْشِ السُّلْطَانِ امْلِرَابِطِ عَلَى الْحُدُودِ لَهُ وَمِبْحَارِيَةِ بَيْنِ يَزْنَانَ لَهُ مَعَ الْحَاجِّ عَبْدِ الْقَادِرِ وَغَرِي ذَلِكَ مِمَّا اعْتَدَبَهُ ، وَكَانَ الْحَاجُّ عَبْدُ الْقَادِرِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ قَدْ فَسَدَتْ نَيْتُهُ أَيْضًا فِي السُّلْطَانِ وَفِي الْجِهَادِ مَعَ أَنَّهُ مَا كَانَ جِلْهَادَهُ ثَمَرَةً وَرَامَ الْإِسْتِقْلَالَ وَأَخَذَ فِي اسْتَفْسَادِ الْقَبَائِلِ الَّذِينَ هُنَالِكَ . وَحَتَّقَ السُّلْطَانُ بِأَمْرِهِ وَشَرَى الشَّرَّ وَتَفَاقَمَ الْأَمْرَ فَعَمَدَ السُّلْطَانُ رَمَحَةَ اِهْلَلِ عَلَى حَرْبِ الْفَرَنْسِيِّسِ وَتَقَدَّمَ إِلَى أَهْلِ الثَّغُورِ